اما حين يكون الانتاج الصناعي هامشيا في حركة الرأسمال الاجتماعي . فان قدرة نضالات الطبقة العاملة على التوحد في المستوى السياسي تصبح شبه معدومة ، لأنها لا تحمل بديل نظام الوساطة من داخله . أي انها كطبقة ليست جزءا اساسيا من عملية تراكم الثروة ، وبالتالي فهي لا تحمل في داخلها قدرة على النمو كطبقة سياسية ، أي ان الطبقة العاملة لا تدخل في الصراع السياسي (مكان تقاسم الثروة الفعلية) كطبقة بل كشريحة اجتماعية . فالنضالات الجزئية الاقتصادية التي تخاض داخل المصنع ، لا تتوحد في حركة « الطبقة العاملة الصناعية » السياسي . بل توحد داخل التنظيم العام النقابي للشغيلة الذي تقوده بورجوازية الخدمات الصغيرة ، بوصفها الشريحة الاكثر فاعلية في عملية تراكم الثروة . فليس عبثا أن يقاد الاتحاد العمالي العام من نقابة موظفي المصارف . وليس عبثا انتقال الحركة النقابية من القيادة السياسية لحزب الشعب الذي نشأ كتوحيد لنضالات عمالية وحرفية في العشرينات ، لتنتقل الى قيادة البورجوازية الصغيرة في القطاع الثالث . فالتفسير السياسي الذي يعطيه كولان(٥) لهذا التحول ضرب الحزب الشيوعي ، ليس سببا بل نتيجة لهذا التحول في بنية الاقتصاد نحو اللاانتاج ــ الوساطة .

ان اخضاع النضالات الجزئية في المصانع لحركة النضـــال المطلبي الذي تخوضه البورجوازية الصغيرة ، يعني عمليا دخول هذا النضال في اطار الصراع الطائفي .

لقد رأينا من تحليلنا للنضالات الاجتماعية للبورجوازية الصغيرة من أجل تحسين شروط المعيشة (الاجور ، الايجارات ...) انها لا تستطيع أن تتشكل كنضالات مستقلة . بل تدخل فعليا ضمن دائرة الصراع الطائفي بوصفه الصراع الاساسي على اقتسام الثروة وتوزيعها . وحين توحد نضالات عمال المصانع في حركة البورجوازية الصغيرة ، فانها لا توحد فعليا ، بل تفتح على الصراع الاساسي الطائفي ، لتتشكل كجزء منه .

ينهي هذا التحليل وهمين ايديولوجيين شائعين :

١ــ الوهم الاول : الطبقة ــ الطائفة

ان اكثرية العمال في لبنان ، شيعية . والمناطق الشيعية في ضواحي بيروت وفي المناطق (الجنوب ، البقاع) هي أكثر المناطق فقرا وحرمانا في لبنان . والطائفة الشيعية كطائفة هي أكثر الطوائف استضعافا في المستوى السياسي . اذن تصبح الطائفة الشيعية طائفة طبقة .

يهمل هذا الطرح الايديولوجي اوالية تكون الطائفة الشيعية .

فالطائفة الشيعية ، لم تتكون كطائفة الا حديثا . أي ضمن شروط توسع مرحلة الانتقال لتشمل مناطق جديدة في لبنان . أدى هذا التوسع الى ضرب نمط الانتاج ، عبر تفريغ الجنوب من سكانه بشكل تصاعدي ليشكلوا تدريجيا جزءا من قطاع الخدمات وليكونوا وقود الصناعات الخفيفة (يد عاملة رخيصة ، تتفتت علاقاتها القديمة) .

فلقد ارتبطت بدايات تكون الشيعة كطائفة سياسية ، ارتبطت برسملة الريف ، وبحركة النزوح منه بشكل واسع . أي انها تعيد تطبيق القانون الاساسي الذي حكم الطوائف في لبنان في القرن الماضي . وقد ارتبطت برساميل تجارية شيعية (مهجرية في الاساس) تبحث لنفسها عن مكان فعلي في المستوى السياسي . أي ان تكوّن الشيعة كطائفة سياسية يقف على أرضيـــة موضوعية ، هي توسع الرأسمـــالية